اللغة العربية في وسائل الإعلام: الواقع وآفاق النهوض.

المشرف الأستاذة الدكتورة: دليلة مزوز
طالب دكتوراه:عبد السلام عابي
قسم الآداب واللغة العربية
كلية الآداب واللغات
جامعة بسكرة (الجزائر)

ملخـــص:

يروم هذا المقال الوقوف على واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام، موطئا لذلك بمقدمة تاريخية عن ظاهرة اللحن قديما وحديثا، كما يشخص حالها ويبين الأسباب التي أدت إلى تدهور الخطاب الصحفي، و يقدم حلولا يراها مناسبة للنهوض باللغة العربية وترقية الأداء الصحفي في وسائل الإعلام.

Résumé:

Cet article a pour but d'identifier la réalité de la langue arabe dans les médias, offrant ainsi une introduction historique à la mélodie des mélodies anciennes et récentes, identifiant les causes ayant conduit à la détérioration du discours de presse et présentant des solutions adaptées à la promotion de la langue arabe

تمهيد :

تعرف اللغة العربية انحدارا رهيبا من جهة الممارسة الصحفية في الوسائل المرئية والمكتوبة، والمتتبع لهذه الممارسة يلفى لدى أصحابها استهتارا كبيرا بلغ حد تكسير نظام العربية، الذي اشتغل علماء العربية منذ القدم على ضبطه وبيان الأسس التي يقوم عليها، في مجهود أقل ما يمكن أن يقال عنه أنه إرث حضاري كبير لامناص من الحفاظ عليه والاهتمام به، إذ تعتبر حياة اللغة ونماؤها مؤشرا على النماء الحضاري وعاملا مهما من عوامل الاستمرار والبقاء، يختزل قول الرافعي الآتي، ذلك كله ويصوره أحسن تصوير، يقول : ((ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار؛ ومن هذا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضًا على الأمة المستعمرة، ويركبهم بها، ويشعرهم عظمته فيها، ويستلحقهم من ناحيتها؛ فيحكم عليهم أحكامًا ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنًا مؤبدًا؛ وأما الثاني فالحكم على ماضيهم بالقتل محوًا ونسيانًا؛ وأما الثالث فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها؛ فأمرهم من بعدها لأمره تبع.))[1]، إن كلام الرافعي يدلل على مكانة اللغة في بناء الحضارة وعلى صراع الأمم اللغوي و يؤشر على الخطورة البالغة للحال التي وصلت إليها اللغة العربية، ما يدفع إلى ضرورة البحث في أسباب هذا الانحدار رجاء الوقوف على أسبابه ومن ثم تقديم العلاج الذي يعيد للعربية بريقها.

إن البحث عن الأسباب التي دفعت بمتكلمي العربية في وسائل الإعلام إلى ترك الانضباط بنظام العربية الفصحى التي يحكمها، وذلك في أثناء الممارسة الصحفية نطقا وكتابةً، هو في الحقيقة بحثٌ معلل بأحد أمرين :

- إما عدم تمكن مستعمليها- من الصحفيين ورواد وسائل التواصل والمدونات الالكترونية - من نظامها بشكلٍ عام، والنحوي بشكل خاص، والبحث في هذا الموضوع أكاديمي بحت، وذلك بالنظر في أسباب تدني مستوى الصحفيين، سواء أكانت في التكوين الأكاديمي الجامعي، وذلك في أقسام اللغة العربية وأقسام علوم الإعلام والاتصال، أم في اختلال المناهج المعدة لهذا الغرض.

- وإما مجرد استهتار، بلغ حد عدم الوعي بخطورة تجاوز نظام اللغة العربية والعبث به، والبحث في هذا السبب يحيل على موضوع اختلال المنظومة الاجتماعية العربية التي تعرف هي أيضا تدهورا رهيبا مس مختلف مناحي الحياة، حتى بات هم الصحفي في القنوات المرئية والمسموعة هو كيف يجعل حركاته وإيماءاته، مشابهة تماما لما هو عليه الصحفي الغربي، وهو انخراط في مظاهر الحضارة الزائفة التي تتنكر لتاريخها ومقوماتها، والبحث في هذا الجانب فلسفي اجتماعي.

إن معالجة أمر كهذا ليست بالسهولة التي يمكن أن تُتصور، وليست بالقضية الهامشية التي يمكن تجاوزها و اطراحها، بل هي عند التحقيق قضية أمة، نهوضها وبقاؤها مرهون بنهوض لغتها و

بقائها، كما أن الصراع في حقيقته، ليس صراع سلاح ولا اقتصاد، بل هو صراع حضارات، وقد عُلم أن اللغة أهم مقومات الحضارة.

وفي سياق الحديث عن هذه القضية، فإن جملة من الإشكالات والأسئلة تتوارد في هذا المقام من قبيل:

- ما الخلفية التاريخية لظاهرة اللحن قديما وحديثا ؟
- ما الأسباب الكامنة وراء تفشي ظاهرة اللحن في وسائل الإعلام العربية؟
- كيف هو دور المجامع اللغوية في هذه القضية ؟ وماذا تملك من سلطات وصلاحيات؟
- ما هو دور المجامع اللغوية وهيئات البحث العلمي في تقويم لغة الصحفيين ؟
- ما هو دور الجامعة في تكوين صحفيين مؤهلين للتواصل بلغة عربية سليمة ؟
- كيف أسهم تردي الوضع الحضاري العام للأمم العربية في تردي لغة الصحافة ؟

ليس يخفى ما للبحث في هذا الموضوع من أهمية، كونه يدرس قضية حساسة في المجتمع تتمثل في البحث عن أسباب تدني مستوى الصحفيين في وسائل الإعلام، باعتبارها موجهة إلى شريحة كبيرة من المجتمع، يفترض في وسائل الإعلام أن تكون معينا لها على تعلم اللغة العربية الصحيحة.

ولعلاج هذه القضية، وفق طرح يجمع علينا عناصره في بعدٍ تكاملي، نحاول في هذا البحث أن نلم بكل عناصره التي ظهر للباحث ارتباطها بهذا الموضوع.

الخطاب الأدبي والخطاب الصحفي، أية علاقة ؟ :

جواب هذا السؤال فرض مُفاده أن وسائل الإعلان المرئية والمكتوبة، قد باتت لها اليد الطولى في صنع لغة المثقف على اختلاف أنواعه ومسمياته، و أن إدمان النظر في وسائل الإعلام مؤثر لا محالة في لغة الخاصة قبل العامة؛ ذلك أن "لغة الصحافة لها سلطان كبير في حياة الناس؛فهي التي تصنع الرأي العام وهي التي تعبر عنه في نفس الوقت، أو بعبارة أخرى إن الصحافة أداة خطيرة لأنها قد تجعل الإنسان عضوا من أعضاء المجتمع يقرر لنفسه بنفسه، وقد تجعله خاضعا لأي إنسان آخر ينجح في الاستيلاء على مصدر الاتصال. و لك أن تتصور المدى الذي يصل إليه تأثير لغة الصحافة على ألسنة الناس وأقلامهم باعتبارها أداة من أهم أدوات الاتصال في المجتمع"[2]، ولما كانت" اللغة ظاهرة اجتماعية لأنها وطيدة الصلة بأفكار الناس وأحاسيسهم وأعمالهم، وليست وظيفة اللغة فحسب-كما يتصور البعض- أنها وسيلة من وسائل توصيل الأفكار أو التعبير عنها، بل هي إلى جانب ذلك أداة للحياة يستخدمها الفرد ليصبح عضوا في جماعة يحقق فيها ومعها أغراضه وأغراضها"[3]، لما كانت اللغة كذلك، فإن الحديث عن العلاقة بين اللغة العربية ووسائل الإعلام أضحى اليوم أشبه ما يكون بالحديث عن متلازمين لا ينفكان عن بعضيهما بحال، وهو ما يدلل على الأهمية البالغة التي تحظى بها وسائل الإعلام،"إن تلك الأهمية التي تحظى بها وسائل الإعلام إنما تأتي من أنها تلازم الجماهير منذ أن يستيقضوا وحتى إيوائهم إلى فراشهم،

فضلا عن أن الكثير منهم يعتمدون عليها كروافد للعلم والمعرفة، وبالتالي فإن أي خطأ من اللغة يرتكبه المذيع أو الصحفي أو المحرر أو الخطيب إنما يترك آثاره السلبية على ألسنة أولئك المستمعين"[4]، وما يزيد الأمر تأكيدا هو انفتاح وسائل الإعلام على مجالات شتى تنسجم مع اهتمامات الناس ورغباتهم؛ فعصر القناة الوحيدة الرسمية قد ولى، وزمان الخطاب الواحد الموجه قد ذهب إلى غير رجعة.

إن المعطيات الجديدة التي نعرفها اليوم في وسائل الإعلام، ممثلة في هذا الكم الهائل من وسائل الإعلام مختلفة الأفكار والمذاهب، ومتنوعة المجالات والأهداف، قد زاد الطين بلة، و فاقم من خطورة الوضع، ولذلك أصبح التحرك الآن ضرورة قصوى، وذلك قبل فوات الأوان، ولا يكون ذلك إلا باستحداث هيئات رقابية، تلزم القنوات الخاصة والعامة على حد سواء، بتعيين مدققين لغويين يمتلكون الكفاءة اللازمة لمراقبة وتصحيح لغة الصحفيين، وقد كان شيئ من هذا، في الجرائد القديمة عند بدايات ظهورها، غير أنه الآن آيل إلى الزوال، وربما لم يعد له وجود.

العربية من الانتشار إلى الانحسار :

قُدِّر للغة العربية أن يسطع نجمها وينتشر نظامها في كثير من البقاع و الأصقاع، وذلك عندما ارتبطت بالذكر الحكيم، والسنة النبوية المطهرة، فكان إقبال الناس عليها من الشعوب، والقبائل من مختلف الأجناس، إقبالا كبيرا منقطع النظير، وما ذاك إلا لكونها المرقاة إلى فهم نصوص الوحيين؛ فقد استقر عند العلماء أن العلم بالعربية شرط رئيس في فهم نصوص الوحي، وقد تقرر في كتب الأصول أن العلم بالعربية شرط الاجتهاد الرئيس، وركنه المتين.[5]

غير أن العربية اليوم تشهد انحسار رهيبا، من جهة الممارسة مرده إلى طغيان العامية في الحياة اليومية للشعوب العربية؛ ذلك أن " العرب اليوم لا يتكلمون العربية الفصحى؛ فالعامية هي الدارجة على ألسنتهم، والمستخدمة في جل محادثاتهم وحواراتهم، وهي المتداولة فيما بينهم وفي نواديهم ومحافلهم، والعامية نفسها ليست واحدة، وإنما هي عاميات متعددة، ففي كل قطر أو بلد ثمة عامية، أو ربما عاميات متعددة أيضا."[6]

وبرغم أن الازدواجية اللغوية تعتبر أحيانا ظاهرة صحية، تعلل بكون إنكار المستوى اللهجي هو"إنكار لطبيعة اللغات عموما في النحو منحى التطور، وظهور المستويات اللهجية المختلفة، والبحث في اللغة من وجهة النظر الحديثة، يعترف بالتطور باعتباره مظهرا اجتماعيا يحدث للغة كما يحدث لغيرها وينظر إليها بهذا الاعتبار فيلاحظه ويصفه،إذ عرف العربي في الجاهلية مستوى من الازدواج لم يكن يصل حدود الظاهرة"[7]، برغم هذا الأمر، فإن الحديث عن الازدواجية اللغوية في الخطاب الصحفي ليس من هذا القبيل، بل هو انحطاط كبير في لغة الصحافة، وتخل عن التزام العربية الفصيحة، إما لعجز أو لعدم اهتمام، أو هو الانسياق وراء الدعوات والأبواق التي تروج لمحدودية اللغة العربية، وعدم قدرتها على مسايرة متطلبات الراهن، والمغلوب مولع دائما بتقليد الغالب، كما قرر ذلك ابن خلدون.

إن واقع العربية في وسائل الإعلام، يدفع إلى البحث الدقيق في أسباب هذا الواقع وتحليل معطياته، رجاء الوصول إلى حلول جذرية، ترتقي بلغة الصحفيين، لتجعلها عاملا من عوامل نهضتها وتطورها، ولن يتأتى ذلك إلا بنية صادقة ورغبة أكيدة في تغيير الوضع الحالي للغة العربية في الخطاب الصحفي، وهذه مهمة صعبة ربما لم تتهيأ أسبابها بعد؛ فما نشهده اليوم من سقوط حر- كما يقول أهل الفيزياء – في جميع مناحي الحياة أضحى من أكبر المعوقات.

بواكير ظاهرة اللحن :

اعتبر اللحن منذ ظهوره أحد أكبر السوءات التي يمكن أن يوصف بها عربي، حتى كان الخلفاء والأمراء يتحرزون منه ويخشونه، من ذلك ما ينسب للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان من قوله:((اللحن في الكلام أقبح من التفتيق في الثوب، والجدري في الوجه))[8]، ومن الشواهد التي ترفع اللحن في الكلام إلى درجة الذنب الذي يأثم صاحبه بإتيانه، قول ابن فارس: ((وَقَدْ كَانَ الناس قديماً يجتنبون اللحن فيما يكتبونه أَوْ يقرءونه اجتنابَهم بعضَ الذنوب.))[9]، ولما كان اللحن بكل مظاهره، طريقا إلى الطعن في الدين، وسلاحا من أسلحة كثير من أعداء العربية قديما، فقد انبرى ثلة من خيرة العلماء على فترات زمنية متوالية للدفاع عن العربية؛ فجاءت مؤلفاتهم كحبات العقد المتوالية يجمعها سمط [10] الحمية للعربية والنصرة لها.

قام هؤلاء بتأليف الكتب وتصنيف المصنفات لتوجيه كلام العامة ومحاربة اللحن، شعارهم في ذلك :محاربة اللحن حيثما وجد ومهما كان صاحبه شريفا كان أم وضيعا، غنيا أم فقيرا، وقد استقر عند المؤلفين في الأخطاء اللغوية أن اللحن قسمان :

- ما تلحن فيه العامة
- ما تلحن فيه الخاصة

يظهر هذا التقسيم مدى الاهتمام الكبير بمسألة اللحن عند علماء العربية ؛إذ لم يقتصر تصويبهم للأخطاء اللغوية على عامة الناس، بل تجاوزوا ذلك إلى من ينُسبون إلى العربية من علماء وكتاب ومعلمين وغيرهم، وسبب ذلك علمهم التام بأن التساهل في صغير الأمور طريقٌ لحدوث كبيرها، وأن التساهل في قضية اللحن موهنٌ للعربية؛ إذ هو في نهاية الأمر طريق لكسر نظامها الذي بُنيت عليه، وقد " سعى العلماء بعد أن استشرى فساد اللغة إلى تنقيتها مما يشوبها وتقويمها بالفصيح من الكلام، من خلال الشواهد الشعرية والنثرية والأمثال والحكم، فجمعوا ما وقع فيه اللحن من العبارات والكلمات في كتب مبينين وجه الخطأ والصواب"[11].

وحري بالبيان أن لفظ اللحن من جهة الاستعمال عند العلماء قد تنوع ليشمل ما تخطئ فيه الناس من جهة اللغة وما تخطئ فيه من جهة المعتقدات والسلوك وغيرها، وإن كان هذا الأمر خارجا عن

موضوع البحث*، إلا أن حرص العلماء على تصحيح الاعوجاج في شتى المجالات، دليل على علمهم بخطورة ترك ظاهرة اللحن وغيرها من ظواهر الانحراف دون علاج، فعلماء الأمة هم بمثابة صمام الأمان الذي يضمن للأمة استقرارها ونماءها.

والمتتبع لحركة التأليف في هذا الموضع يجد أن نتاج العلماء في هذا الموضوع كبير جدا، ومن"باكورة هذه المؤلفات: ما تلحن في العامة لعلي بن حمزة الكسائي، ثم قويت مقاومة اللحن، وتوالت المصنفات، نذكر منها:

- ما تلحن فيه العامة ليحي بن زياد الفراء
- ما يلحن فيه العامة لأبي عبيدة معمر بن المثنى(ت210ه)
- ما يلحن فيه العامة لبكر بن محمد المازني(ت248ه)
- لحن العامة لسهل بن محمد السجستاني(ت 255ه)"[12]

وبرغم تلك الجهود إلا أن ظاهرة اللحن استمرت في الوجود، بل زاد حجمها وتنوعت مظاهرها، وتباينت أسبابها، ولعل أكبر أسباب انتشار اللحن في اللغة في الأزمان المتقدمة، هو التوسع الذي عرفته الأمة الإسلامية، زمانَ الفتوحات الإسلامية حتى اتسع الخرق على الراقع كما يقولون.

أما في العصر الحديث، فأكبر أسباب انتشار اللحن، هو تهاوي الأمة الإسلامية وسقوطها في ربقة الاستعمار الذي سعى جاهدا لطمس معالم اللغة العربية والقضاء عليها في نفوس الناشئة بخاصة.

ظاهرة اللحن في العصر الحديث:

عرف اللحن في العصر الحديث انتشارا رهيبا، تميز بكثرة الفئات التي مسها اللحن؛ فلم يعد اللحن مقتصرا على غير العرب، ولا على الفئات العامة التي يُفترض أنها قليلة الزاد من العربية، بل تعدى ذلك إلى فئات يُفترض فيها الإلمام بقواعد العربية تنظيرا وتطبيقا، في واقع أشبه ما يكون بما حصل عند بدايات ظهور اللحن عند القدماء، حيث عُرف اللحن عند صنفين من الناس، عامة الناس، والخاصة وهم الكتاب والعلماء والمعلمون وغيرهم.

وقد دنا اللحن ممن يحسبون على العربية من معلمين وكتاب ومؤلفين، فصار بذلك ظاهرة عامة ميزت الخطاب العربي، في شتى المجالات، وقد تبع هذا الانحدار الوضعَ العام الذي عرفته الأمم العربية، من تراجع حضاري وفكري سببه المستعمر، الذي حرص جاهدا على تقويض الأسس التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية وعلى رأس تلك الأسس اللغة العربية، كما أن أبواقا كثيرةً قد رفعت أصواتها السمجة، مطالبة بضرورة التخلي عن اللغة العربية في المكاتبات والمراسلات، بل حتى في التعليم، واستبدالها باللهجات العامية.

ولم يكتف هؤلاء الذين رفعوا بيارق اللهجات تارة، وعدم مناسبة العربية للعلوم الحديثة تارة أخرى، لم يكتفوا بمجرد الدعوة لذلك، بل بادروا إلى إطلاق الأفكار والمقترحات، وما أمر الدعوة للكتابة بالحروف اللاتينية عنا ببعيد، وبوجود هذه الدعوات وغيرها وتخلي شباب الأمة عن واجبه تجاه لغته، تولد جيل مهزوم سرعان ما نزع إلى الدعة الخمول، وأعلن انجرافه مع تيارات الحضارة الغربية المتسارعة، فما رُفع له رأس إلا خوفا، ولا سُمع له صوت إلا همسا، وقد صور الدكتور يحي الرخاوي هذا الوضع أحسن تصوير، يقول:((الإنسان العربي المعاصر، وصورته، يعلنان حالا خطيرة من السلبية والخمول والجمود والتبعية، في حين تعلن لغته الأصلية أنه مشروعٌ قادرٌ، واعد، من نصدق ومن نكذِّب ؟ من نحن ؟ هل نحن كما صرنا إليه حقيقة وتشويها ؟ أم نحن ما تقوله لغتنا عنا إذ تشير إلى أصل شامخٍ ذي إبْداعٍ متجدد، ومرونة رحبة، وطبيعة سخية، وحوارٍ خلاق؟ هذا التباعد بين الإنسان العربي الحالي ولغته العربية الأصلية جعلها عبئا عليه، فراح يتعامل معها كجسمٍ غريب ناشز، أو في أحسن الأحوال كأثر تاريخيٍ يوهم بفخر زائف. ترتب على كل هذا أن تصدى للمسألة فريقان على طرفي نقيض:

- أحدهما راح يندب حظها، ويرثي مالها، ثم يتمادى في تثبيت مواقعها في سجون معاجمها، وكهوف نحوها.

- أما الآخر فقد انصرف هربا منها وهو يتخلى عنها سرا أو علانية إهمالا أو تشويها حتى ظهرت تلك البثور المتقيحة على وجهها: إما من لغات أخرى أو من لا لغة أصلا.))[13].

كان اللحن إذا في العصر الحديث، و كانت محاولات الرد عليه وتقويضه في مهده موجودة، وإن كانت في الغالب الأعم متناثرة هنا وهناك.

تخبرنا المراجع التاريخية عن محاولات فردية للتأليف في موضوع التصويب اللغوي المرتبط بلغة الجرائد والصحافة، ومن تلك المحاولات:

- أحاديث إذاعية في الأخطاء الشائعة لعبد العزيز مطر
- أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتاب والإذاعيين لأحمد مختار
- لغة الجرائد لإبراهيم اليازجي
- إصلاح الفاسد من لغة الجرائد لمحمد سليم الجندي.

غير أن هذه المحاولات بقيت فردية، لا يجمعها رابط، كما أنها افتقدت للسلطة الملزمة، التي تحمل أصحاب الجرائد وغيرها على تنفيذ ما جاء فيها، ولذلك فكر الغيورون على العربية في إنشاء مجامع لغوية، تحمل أهدافا عدة ومنها، تقويم لغة الصحفيين.

تقويم اللحن من الردود الفردية إلى عمل المؤسسات :

عرفت مواجهة ظاهرة اللحن محاولات يمكن وسمها بالفردية والعشوائية، وهي السمة التي ميزت العرب في كثير من مظاهر حياتهم بشكل عام، وقد سبق وأن بينا أن مقاومة اللحن في بداية ظهوره عند العرب قد تجسدت في صورة مؤلفات فردية مست مكامن اللحن بنوعيه : لحن العامة و لحن الخاصة، ولم يتغير الأمر كثيرا في العصر الحديث، إذ تمثلت مواجهة اللحن عند علماء العربية المعاصرين، في ردود فردية يغلب عليها طابع الوقتية والآنية.

المجامع اللغوية: حددت بعض مجامع اللغة العربية لنفسها مهمة"بذل الجهود للحفاظ على اللغة العربية وجعلها وافية بحاجات العلوم والفنون وشؤون الحياة في العصر الحاضر، وتهيئة الوسائل لذلك بوضع المعاجم وغيرها والتنبيه على ما ينبو عن العربية من الألفاظ والصيغ"[14]، وتبدو هذه المهمة عند التحقيق جدار سد منيع، في وجه حملات تطويع العربية، ومحاولة تركيعها، وهو أمر فطنت له حضارات أخرى غير العرب؛ فهذا العقاد ينقل عجبه من المجمع العلمي الفرنسي إزاء كلمة إنجليزية واحدة، دخلت قاموس الاستعمال الفرنسي، يقول: ((وهل أعجب من أن المجمع العلمي الفرنسي يؤذن في قومه بإبطال كلمة إنجليزية كانت في الألسنة من أثر الحرب الكبرى ويوجب إسقاطها من اللغة جملة، وهي كلمة " نظام الحصر البحري "، وكانت مما جاءت مع نكبات فرنسا في الحرب العظمى، فلما ذهبت تلك النكبات رأى المجمع العلمي أن الكلمة وحدها نكبة على اللغة كأنها جندي دولة أجنبية في أرض دولة مستقلة بشارته وسلاحه وعلمه يعلن عن قهر أو غلبة أو استعباد))[15]. ذلك هو دور مجامع اللغة، فماذا فعلت المجامع اللغوية العربية للحفاظ على العربية في وسائل الإعلام وغيرها؟ وأي سلطان تملك لتنفيذ توصياتها؟

توصيات مجامع اللغة العربية بين التقرير والتطبيق:

توصي المجامع اللغوية بكثير من الاقتراحات التي لو طبقت، لأعلت شأن اللغة العربية، وعززت مكانتها، ووسعت مساحة ممارستها، ومن الأمثلة على بعض ذلك، التوصيات التي أقرها مجمع الأردن في الندوة التي عقدها في 1987بعنوان:((ندوة الازدواجية في اللغة))، نتخير من هذه التوصيات، الأتي :

1. إنتاج مسلسلات تلفازية وإذاعية باللغة الفصيحة لتعليم المبتدئين، وأخرى لغيرهم من الخاصة والعامة، حتى ينتشر النمط اللغوي السليم ويشيع على ألسنة الناس. والحد من إذاعة المسلسلات والبرامج باللغات العامية، سواء أكانت أردنية أم غيرها.
2. التزام وسائل الإعلام المتنوعة باللغة الفصيحة في كل ما تقدمه للناس.

3. تعيين منشئ لغوي أو أكثر في كل دائرة من دوائر الصحافة والإعلام يتولى مراجعة نصوص البرامج الإخبارية والثقافية وغيرها لضبطها قبل إذاعتها، وكذلك تعيين منشئين لغويين في الوزارات والدوائر والمؤسسات الرسمية والخاصة يتولون ضبط التقارير والمراسلات التي تصدر عنها.

فهل طبقت التوصيات على أرض الميدان ؟! إننا نرى أن التوصيات قد ذهبت في مهب الريح، فحتى البرامج التعليمية أصبحت تقدم بالعامية بدعوى تبسيط العلوم والمعارف وتيسيرها للمتعلمين فكيف بغير ذلك ؟!.

ثم إن الواقع ينطق بخلاف ذلك؛ فلو "استعرضنا معظم برامج التلفاز أو الإذاعة في معظم البلدان العربية،لوجدنا أن نسبة ما تبثه بالعامية تزيد عما تبثه بالفصحى، ولاسيما في الأعمال الدرامية والمنوعات التي يندر فيها استعمال الفصيح من اللغة بحجة أن وسائل الإعلام تخاطب الجمهور كله...ولأن هذا الجمهور ذو ثقافات متباينة"[16].وبالنظر لفقدان تلك المجامع للسلطة الكافية لتنفيذ القرارات من جهة، وعدم إعطاء قراراتها صفة الإلزام من جهة أخرى، أضحى نتاجها في مسألة لغة الإعلام حبيس الأدراج والكتب.

وحتى جامعة الدول العربية لم تتمكن من فرض قراراتها على وسائل الإعلام العربية وهي التي أصدرت ضمن ميثاق الشرف الإعلامي، مادة هذا نصها: ((يحافظ الإعلاميون العرب على سلامة اللغة العربية وبلاغتها، ويصونونها من مزالق العامية والعجمي، ويعملون على نشرها بين أنباء الأمة العربية لتحل تدريجياً محل اللهجات العامة وذلك دعماً للتفاهم بينهم.))[17]

كما نص ميثاق الشرف الإعلامي العربي المعدل، في مادته الثالثة على : ((تشجيع البرامج الإعلامية التي تهتم بالحفاظ على سلامة اللغة العربية باعتبارها قوام الثقافة العربية،ورمز الهوية العربية، والعمل على نشرها عن طريق تيسير قواعدها والتعريف بجماليات بيانها)) [18]. حتى جامعة الدول العربية لم تملك سلطة تنفيذ قراراتها، بسبب ما تعرفه الأمم من صراع سياسي، أثر سلبا على واقع اللغة العربية في وسائل الإعلام.

الجامعة و دور التكوين، الواقع والآمال:

يُفترض في الجامعة أنها منبر العربية وحاملة لوائها، تذبُ عنها، وتدفع عنها الأخطار كما أنها توفر لها المناخ المناسب لحصول تعلم ناجح وفعال، يؤهل طلبة الجامعات لخوض معترك الحياة، بكل ثقة واعتزاز، ليس فقط عند من تخصصوا في العربية في أقسام اللغة العربية، بل عند غيرهم أيضا من أصحاب التخصصات الأخرى، كعلم الاجتماع و الفلسفة وعلوم التربية وبطبيعة الحال الصحافة، و" في ظل التغيرات والتحولات العالمية المتسارعة يمثل التعليم العالي أهمية قصوى على صعيد تقدم المجتمعات ونموها. وثمة اتفاق عام سائد في الأدبيات المرتبطة بالتعليم الجامعي – محليا وعالميا –على أن الجامعة منوط بها ثلاث وظائف رئيسة هي :التدريس والبحث العلمي وخدمة المجتمع "[19]، وتعتبر الجامعة لهذا

الأسباب" أهم المؤسسات التربوية التي تسعى إلى تطوير البحث العلمي، والوصول به إلى الرقي والازدهار وتسخيره لخدمة المجتمع.

ويتطور البحث العلمي كلما كان الإتقان جيدا للغات ومنها اللغة العربية؛ فالجامعة ليست المرحلة التي تنحط فيها لغتنا العربية الفصيحة، وإنما هي المرحلة التي يجب أن تعزز فيها اللغة العربية لما لها من أهمية في نقل الموروث الثقافي من جيل إلى آخر".[20]

ذلك هو ما ينبغي أن يكون، فكيف حال الجامعة؟ وكيف هو حال العربية فيها؟!

الناظر في واقع الجامعات العربية يرى وضعا مزريا، وحالا سيئة أشد ما يكون السوء؛ فنظرة عجلى في مستويات طلبة أقسام اللغة العربية، تنبئ بمدى التقهقر الحاصل عند طلاب أقسام اللغة العربية فكيف بمن دونهم؟! و" لعل الجامعات، وخاصة أقسام اللغة العربية، قد ظلت إلى عهد قريب تعد هذه المسألة مسألة مدرسية تلقي فيها المسؤولية على المراحل الجامعية التي تسبق الجامعة، وترى أن الجامعة تمثل مستوى آخر في تحصيل المعرفة بالعربية على أنحاء منهجية متعمقة متقدمة، وأنه ليس من وظيفتها أن تُشغل باستدراك ما تخلف في الطلبة من آثار المدرسة، وهل يليق بالأستاذ الجامعي أن يرتد إلى تعليم الطلبة أوليات النحو والإملاء حين يجدهم يلحنون و يخطئون في تلك المبادئ؟"[21].

نعم، لا ينفي أحد أن الجامعة محل البحث والنظر والتعمق في مناهج البحث والتكوين الذاتي، ولكن الواقعَ واقعٌ، وعلاجه الآن وقبل فوات الأوان ضرورة ملحة، ينبغي أن يشارك فيها الجميع وأن يتحمل كلٌ من موقعه، المسؤولية الملقاة على عاتقه؛ لأن ترك العربية لتواجه مصيرها مع ألوف مؤلفة من خريجي الجامعات الذين لا يحسنون الحديث بها، هو انسلاخ من الهوية، و انسحاب من المعركة، و تخلية للميدان لتنتشر العامية، وتعم الأوساط العلمية والثقافية بلا مقاومة، فكيف يعقل أن نهتم بتكوين الصحفي – مثلا – في أبجديات العمل الصحفي، وكيفية التعامل مع الأخبار، وماذا يلبس، وكيف يجلس و...، ونتناسى لغته التي سيخاطب بها الناس ؟! كل ذلك بدعوى أنه طالب جامعي، وأن مجرد دخوله الجامعة يعني أنه مؤهل لهذه المرحلة، وانه يمتلك زادا من العربية يعفي الجامعة من تقديمه له.

وبالمقابل، تضطلع اختلالات التكوين الجامعي للأساتذة بمسؤولية أخرى أسهمت في تردي الوضع أكثر؛"فالأستاذ الجامعي الكفء هو الأستاذ ذي الكفاءات العلمية والمهنية،والشخصية،و البيداغوجية التي تؤهله لأداء مهامه التدريسية، والذي يحظى بتكوين يساعده على أداء وظيفته، فيصبح إعداد وتكوين الأستاذ الجامعي لأداء مهام تدريسه أمرا حتميا وضروريا"[22].

ومما زاد الأمر صعوبة أن"أغب الفروع العلمية والتقنية في الجزائر تدرس باللغة الفرنسية، وقد يلجأ الأستاذ في بعض الأحيان إلى استعمال العامية، إذا تطلب الدرس شرح شيئ غامض فيه، أما بالنسبة للفروع الإنسانية والاجتماعية فيستخدم الأستاذ الفصحى، والعامية.

ويرجع السبب في عدم استخدام اللغة الفصحى في الجامعة، إلى أن الكثير من الأساتذة بالأخص، في الفروع العلمية يعدون أنفسهم غير مطالبين بالضبط اللغوي والتقني وليسوا معنيين باستعمال اللغة الفصحى التي لا يتقنونها أصلا.

كما يرجع استعمال العامية إلى عند بعض أساتذة العلوم الاجتماعية؛لأن تكوينهم كان باللغة الفرنسية، وبعضهم من كبار السن الذين درسوا في حقبة الاستعمار الفرنسي، فعند تطبيق مشروع التعريب في الجزائر حولوا للتدريس مباشرة باللغة العربية، وهم لا يتقنونها مما اضطرهم إلى تقديم دروسهم بالعامية "[23].

ذلك هو الحال، فماذا لو أضفنا إلى ذلك شعور بعض الأساتذة بالضيق حيال استعمال العربية في التدريس انجرارا منهم في تيار الحداثة و الحضارة !

- **اختلال المنظومة المجتمعية :**

اختلال المنظومة المجتمعية واحدة من أسوأ ما يواجه العربية من أخطار، فشعور العربي بالنقص تجاه لغته عامل من عوامل هدمها، وسبب رئيس من أسباب انحسارها ليس فقط في وسائل الإعلام بل في جميع مناحي الحياة؛ ففي الوقت الذي نلمس فيه هذا التقهقر للغة العربية في جميع الأقطار العربية، وكأن العربية أصبحت لوثة يحسن التخلص منها، أو أنها أصبحت علامة على التخلف والرجعية، في الوقت الذي يحدث هذا عند العرب دون استثناء، نجد الأمم المتحضرة تعتز بلغتها، وتوفر لها أسباب الرقي والنماء، كما هو الحال في دول الشرق الآسيوي التي يساير فيها نموها الاقتصادي نمو لغتها، واعتزاز أفرادها بها، وفي " المجتمعات الأوربية الراقية يدور حديث المثقفين بلغة هي الفصحى في أصواتها وصرفها ومعجمها، وإن كانت أبسط [كذا] منها في نحوها، ويحاول كل مثقف الارتفاع عن اللون المحلي في لهجته، ليتوسل في حديثه باللغة الفصحى"[24].

وقد حمل العلم بقضية اللغة المثقفين هناك قبل المسؤولين على جعل اللغة المشتركة حاضرة في "حديث المثقفين وفي وسائل الإعلام، وفي الأفلام، وفي الكتب الثقافية والعلمية، وفي الإدارة وفي المجالس النيابية، ونجدها إلى حد كبير جدا في التعامل اليومي داخل المتاجر، والمؤسسات العامة" [25]، فأين نحن معشر العرب من ذلك، بل من قليل منه، وهو حضور اللغة العربية الصحيحة في الخطاب الصحفي ؟!

"إن ما تواجهه العربية من تحديات كبيرة، فرضها التقدم الكبير والتغيرات الكثيرة في كل مناحي الحياة، يستوجب النهوض بها لتكون قادرة على الثبات أمام تلك التحديات، ومع ما فيها من العظمة التي أودعها الله فيها، لكن إبراز تلك العظمة وُكِل إلى الجهد البشري لا إلى معجزة ذاتية فيها، ولذا تضعف اللغة بضعف أهلها وتنهض بنهضتهم، فإن سعو إلى نشرها، و الكشف عن عظمتها، ظهر أثر

عملهم وإن تراخو عن ذلك بقيت اللغة ضعيفة جامدة متأخرة عن مسايرة الحياة "[26].

وقد دفع هذا الواقع المر ببعض الباحثين إلى إبداء الحسرة والألم، وهو يعاين واقع اللغة العربية وما آل إليه أبناؤها، من تخل عن واجبهم تجاه لغتهم وتجاهلهم لأسباب رقيها ونمائها، يقول الدكتور صالح بلعيد: ((أخاف على هذا الجيل ومن سيأتون من بعده من الذوبان والزج بأنفسهم في أوهام " الحراقة اللغوية" والترامي على اللغات الأجنبية، لقطف البريق الذي يشع ولا ينير؛ لغة أجنبية تضل ولا تهدي، تفرق ولا تجمع، تحتقر اللغات الوطنية وتزيحها من الاستعمال بدعوى العجز العلمي.[27])).

إن الواقع الذي نعيش ينبئ بمستقبل أسود إن لم نتدارك الأمر؛ فالأمة الإسلامية" تعيش ظروفا موضوعية تجعلها قابلة للانصهار في التكوينات المعرفية المتنوعة؛ فالغزو الفكري يكاد يضيع شخصيتها، والغزو العسكري يكاد يحاصرها، والغزو السياسي قوقعها في ذاتية قميئة، والغزو الاقتصادي جعلها سوقا مستهلكا، فنهب ثرواتها وأفقر شعوبها. ولعل ذلك كله فرض على الأمة البحث عن شخصيتها، في محاولة لفهم سيرورة النهوض الحضاري لهذه الأمة، وبناء إنسان متميز عن غيره من أبناء المجتمعات الأخرى، عقيدة وفكرا وسلوكا، لتقام من خلاله حضارة فكرية ومادية متميزة عن غيرها من الحضارات"[28].

إن النهوض بمستوى الأمة الحضاري والرقي بفكرها، مولدٌ لا محالة في نفوس أبنائها اعتزازهم بلغتهم وسعيهم في تطورها وإنمائها.

- **نتائج وتوصيات :**

لقد بان لنا ما آلت إليه العربية من حال في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والوسائط الالكترونية، وظهر لنا جليا أن العربية اليوم بحاجة إلى هبة صادقة من الجميع، رجاء النهوض بها، وإعطائها المكانة التي تستحق، ونرى أن جملة من الأمور واجبٌ تحقيقها والعمل على تطبيقها، من ذلك :

- ضرورة العمل على تعزيز ثقة العربي بلغته، وحرصه على رفع رايتها، وتوليه مهمة النهوض بها، وبخاصة في وسائل الإعلام، و العمل على ترقية الحس بالانتماء للعربية وعناصر الهوية الوطنية، وذلك بصناعة منهاج يقرر ذلك هدفا رئيسا من أهدافه.

- العمل على التكوين الجاد للمدرسين في مختلف الأطوار، و اطراح دعوى أن الطالب في الجامعة ليس بحاجة إلى تكوين لغوي، أو أنه قادر على فعل ذلك بمفرده، وكذا العمل على رفع وتائر التكوين الخاصة بالأستاذ الجامعي وزيادة حجم الزمن المخصص لذلك، لرفع المردودية اللغوية للأستاذ الجامعي.

- تفعيل دور مجامع اللغة وكذا الهيئات والمراكز التي لها صلة بالعربية وإعطائها قوة تنظيمية وزيادة مساحة حضورها في الجامعة.
- استحداث هيئات رقابية تعمل على مراقبة لغة الإعلام بصفة منتظمة، وتعد من أجل ذلك تقارير ترفعها للجهات الوصية، ومطالبة كل قناة بتوفر منصب مدقق لغوي متمكن، ومتمرس يعمل على تنقيح وتصحيح الخطاب الصحفي ولغة البرامج فيها.
- تفعيل وزيادة البرامج التلفزيونية والإذاعية المخصصة للغة العربية، وتنويع موادها بما يتلاءم وأذواق الجمهور.
- تفعيل وتطبيق القرارات التي تخص قضية التعريب واستعمال العربية في المؤسسات العمومية، في المراسلات و المكاتبات والبرامج الإذاعية.
- توجيه الجامعة نحو الإسهام في بعث اللغة العربية والدفاع عنها، وعقد الندوات والأيام الدراسية المعقودة لهذا الغرض.

الهوامش والمراجع:

1- مصطفى صادق الرافعي،وحي القلم، دار الكتب العلمية، دار الكتب العلمية،بيروت،ط2000،1م،ص 27

2 - حسن حمد عبد العزيز ،لغة الصحافة المعاصرة،دار المعارف، القاهرة دط، دت،ص10

3 - السابق، ص8

4 - رشدي أحمد طعيمة،محمود كامل الناقة،اللغة العربية والتفاهم العالمي،دار المسيرة للنشر والتوزيع،عمان،ط2009،1م،ص118

5 - كتب الأصول تقرر ذلك، وقد نبه إلى ذلك الإمام الشافعي في أول مؤلف أصولي وهو: الرسالة.

6 -عباس المصري وعماد أبو حسن،الازدواجية في اللغة العربية،منشورات المجمع،العدد2014،8 ص 37

7 -،مهى محمود العتوم،الازدواجية اللغوية في الأدب نماذج شعرية تطبيقية،مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب،م4، العدد1،ص 169.

8- محمد بن محمد بن هبة الله العلوي الحسيني، المجموع اللفيف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1425 هـ،ص 401.

9 - ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، الناشر: محمد علي بيضون، الطبعة: الطبعة الأولى 1418هـ-1997م،ص35.

10 -السِّمْطُ، بالكسر: خَيْطُ النَّظْمِ، وقِلادَةٌ أطولُ من المِخْنَقَةِ، ينظر: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى،القاموس المحيط،مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،ط8، 2005 م، ص672

11 - محمد ابن عبد الله التميمين، اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة،دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي،ط2008،1م،ص55

* من ذلك كتاب المختار من كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات، وكتاب لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام.

12 - اللحن اللغوي وآثاره في الفقه واللغة،مرجع سابق،ص 56/55

13 - عبد العزيز بن عزيز الحميد،واقع اللغة العربية ومستقبلها،مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية،العدد الأول،1429هـ،ص35/34

14 -شوقي ضيف،مجمع اللغة العربية في خمسين عاما،مجمع اللغة العربية،جمهورية مصر العربية،ط1984،1،ص 20

15 - مصطفى صادق الرافعي، تحت راية القرآن، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،ط2002،1م،ص21.

16 - نصيرة زيتوني،واقع اللغة العربية في الجزائر،مجلة جامعة النجاح للأبحاث،(العلوم الإنسانية)المجلد 27،2013،ص2166

17 - حنان يوسف، أخلاقيات المهنة ومواثيق الشرف الإعلامي،مؤتمر الإعلاميات السادس،عمان الأردن،2007، ورقة عمل تتضمن مواد ميثاق الشرف الإعلامي ومنها المادة التاسعة.

18 - ميثاق الشرف العربي الإعلامي، الأمانة الخاصة قطاع الإعلام والاتصال،إدارة الأمانة الفنية لمجلس وزراء الإعلام العرب،جامعة الدول العربية،تونس،2013،ص3

19 -عواطف عبد الرحمان،الصحافة و الجامعات رؤى مستقبلية،دط،2014 ص106.

20 -،نزيهة وهابي،تدني مستوى اللغة العربية لدى الطالب الجامعي،الأسباب والحلول،مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي، العددين18/17،مارس 2016،ص 171

21 - نهاد الموسى، اللغة العربية وأبناؤها،أبحاث في قضية الخطأ وضعف الطلبة في اللغة العربية،دار المسيرة للنشر والتوزيع،دط،دت،ص12

22 -سلامي دلال،إيمان عزي،تكوين الأستاذ الجامعي الواقع والآفاق،مجلة الدراسات البحوث الاجتماعية،جامعة الوادي،العدد 3،ديسمبر،2013 ص152

23 - واقع اللغة العربية في الجزائر،مرجع سابق،ص2163

24 -محمود فهمي حجازي،مدخل إلى علم اللغة،دار قباء للطباعة والنشر،القاهرة،مصر،دط،دت، ص14

25 - السابق، ص14

26 - واقع اللغة العربية ومستقبلها،مرجع سابق،ص 44

27 - صالح بلعيد،مجلة ممارسات اللغوية،جامعة مولود معمري، مخبر الممارسات اللغوية، الجزائر، العدد2012،11،ص156.

28 - كلمة هيئة التحرير، إسلامية المعرفة مجلة الفكر الإسلامي المعاصر،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،العدد2013،73، ص5